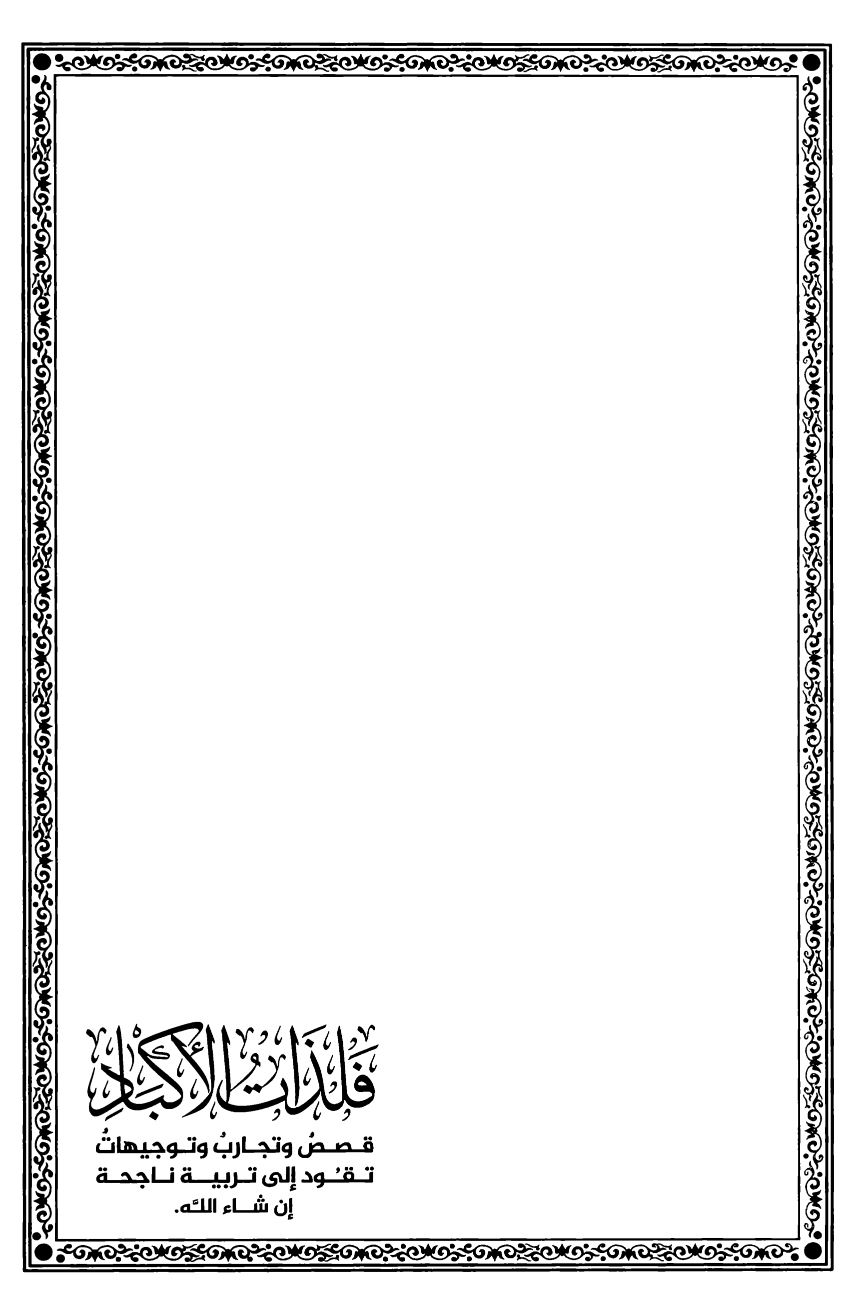
فلذات الأكباد

قصصٌ وتجاربُ وتوجيهاتٌ
تقُود إلى تربية ناجحة
إن شاء الله.

تأليفُ
أحمد بن ناصر الطيار




فلذات الأكباد
قصص وتجارب وتوجيهات
تقود إلى تربية ناجحة
إن شاء الله.

ح مؤسسة الحجاز الخضراء التجارية، ١٤٤٦هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الطيار، أحمد بن ناصر
فلذات الأكباد قصص وتجارب وتوجيهات تقود إلى تربية ناجحة إن شاء الله./ أحمد بن ناصر الطيار-ط١-
الرياض، ١٤٤٥ هـ.
٨٦ص ؛ ١٤ x ٢١ سم.

رقم الإيداع : ١١٧٣٨ / ١٤٤٦
ردمك : ٠ - ٧ - ٩٢٢٨٣ -٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)



المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام - شرق النفق
الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٩٦٦٥٦٥٦١١٥٠٠٥٨ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣
القاهرة - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢ الإسكندرية - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١
البريد الإلكتروني: d.alhijaz@gmail.com



قصصٌ وتجاربُ وتوجيهاتٌ
تقُود إلى تربية ناجحة
إن شاء الله.

تأليف






بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فلقد مرّت عليّ مواقف وأحداث فيها لطائف وعبر ودروس في تربية أولادي، ومعالجة بعض المشكلات التي واجهتها منهم أو من أحدهم، وقد رأيت من الخير نشرها، لعلها تكون سببًا في نفعِ أحدٍ من المسلمين.

ولا تظنّ أنها وصايا وتوجيهات نظرية بحتة، بل ما كتبته ودوّنته هو خلاصةُ تجربةٍ وخبرةٍ ودراسةٍ خمسة عشر عامًا، خُضتُ خلالها ممارسة التربية، ومعاناةَ التعامل مع السلوكيات الخاطئة، وكنت أتعامل مع كل فرد بما يُناسبه، وأُكثر التأمل في أسباب الأخطاء والانحرافات وعلاجها، وأمعنت النظر والفكر فيمن

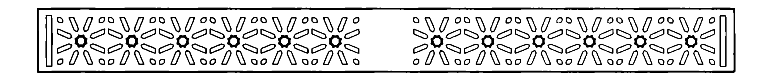
نجح وعاش حياة الاستقرار، وفيمن فشل وعاش حياة البوار.

فها أنا أنقل لك تجربةَ وخبرةَ ودراسةَ هذه المدة الطويلة، لعلّها تفتح لك آفاقَ وأبوابَ التربية الناجحة، وتُجنِّبك التربية الخاطئة، التي مآلها للفشل، فتكون بذلك قد وُفِّقت للصواب، وحُفظت من تكرار الأخطاء في التربية.

أسأل الله أن يجعل ما كتبتُه خالصًا لوجهه، ومقربًا إليه، ونافعًا لعباده، إنه سميع قريب مجيب.

كما أسأله أن يجزي عني خير الجزاء كلّ من راجع الكتاب، وكل من أفادني برأيٍ صائب، ونصح خالص.

أحمد بن ناصر الطيار
خطيب جامع
عبد الله بن نوفل بمحافظة الزلفي
والداعي إلى الله في وزارة الشؤون الإسلامية
البريد الإلكتروني:
ahmed0411@gmail.com
رقم الجوال: ٠٥٠٣٤٢١٨٦٦
١٤٤٤/١٢/٣



النصيب الأكبر من الجلوس والنزهات والانبساط والتعليم للأهل والأولاد

مما أفادتني التجارب: أن يكون لأهلي وأولادي النصيب الأكبر من الدعوة والقرب والجلوس والسّفر والانبساط.

فلقد رأيت من جعل دعوة الأباعد جلّ اهتمامه فغلب على أولاده الجهل والغفلة.

ورأيت من جعل جلّ سفر وجلوسه مع أصدقائه فضعفت علاقته مع أهله وأولاده حتى أصبح لا يأنس بهم ولا يأنسون به.

ومن الخطأ إعطاء الرجل أهله وأولاده القليل من وقته، وربما صرَف هذا القليل من الوقت في الجلوس معهم أثناء وجبات الطعام، وعند النوم، وباقي الوقت يصرفه لعمله وتجارته وأصدقائه في الاستراحات أو النزهات ونحوها.

فأين حقوقهم في التربية والنصح والتعليم والإحسان؟

وقد قال الله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ فهل وقيتُما ـ أيها الأب وأيتها الأم ـ أولادكما نار جهنم بنصحكما وتعليمكما لهم؟

ألستَ راعٍ في بيتك؟

بلى، قال النبي ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسؤول، فالإمام راع وهو مسؤول، والرجل راع على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول»**(١).

وإذا كنتَ أنت الراعي على أهلك وأولادك فمن حقّهم عليك النصحُ والتعليم والتأديب، قال النبي ﷺ: **«ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»**(٢).

والرعاية: الحفظ والصيانة، والغش: ضد

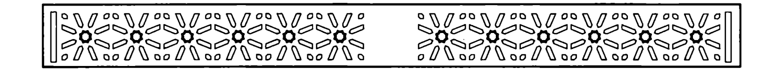
(١) رواه البخاري (٥١٨٨) ومسلم (١٨٢٩).
(٢) رواه مسلم (١٤٢).

النصيحة، وهو تضييع حقّ أولاده عليه، بنصحهم وتوجيههم فيما فيه صلاح دينهم ودنياهم.

فالواجب عليك أنْ تحْفظهم وتصونهم بنصحك وإرشادك وتعليمك، وأن تحذر من غشّهم بترك النصيحة لهم، والتَّفْريط في تربيتهم وتعليمهم.

ولا شكّ أنَّ القرب من الأولاد منذ نعومة أظفارهم واحتوائهم بالحب والتلطف معهم والرفق في التعامل معهم من أكبر أسباب تهيئة بيئةٍ مناسبةٍ للتربية الناجحة بعون الله وتوفيقه، واستقرار الأسرة وهدوئها وترابطها وتكاتفها في الأزمات؛ لأنّ الارتباط والتقارب وقت الرخاء يُؤْتي ثماره وقت الشدّة.





الحذر من إدمان ولدك للجوال ومجالسة الأصدقاء

الطفل لا يعرف مصلحته، ومن الواجب على كل مربٍّ توجيهُه الوجهة الصحيحة، وتحبيبُه للخير، وتنفيره من الشر، وهذا من حق الولد على والدَيه.

وقد تأملت في حال الأطفال، فوجدتهم منذ إدراكهم يتصفون بثلاث صفات مشتركة بينهم:

الأولى: محبة الأسرة، والأنس بها، واحترام أفرادها، وخاصة الوالدين والجدّ والجدة.

الثانية: محبة الألعاب التي فيها حركة.

الثالثة: الاستماع لنصائح الوالدين والمربِّين والمعلمين، وقناعتهم بأنها مسلَّمات يطبِّقونها ويفْخرون بها.

ولكنهم من حين بلوغهم سنّ العاشرة أو بعدها

بقليل تبدأ هذه الصفات تضعف عند كثير منهم، ويقلّ قدْرها عندهم:

- فيبدؤون بتكوين صداقات وعلاقات مع الأقارب وزملاء المدرسة والحيّ، وقد تكون - إن لم تكن معتدلة - بديلًا لهم عن الأسرة.

- ويرغبون بالألعاب التي ليس فيها حركة، كاللعب بألعاب الجوال، ومتابعة ما فيه من مقاطع ونحوها من الأجهزة الالكترونية الأخرى.

- ويقلّ عندهم الاستماع لنصح الوالدين والمربين والمعلمين وتوجيهاتهم، ويتلقّفون ما يقوله أصدقاؤهم وزملاؤهم.

فمن الخطأ الكبير أن يفرّط الوالدان ويتساهلا مع تغيّرات الطفل النفسيّة والسلوكيّة دون حزم وتوجيه ونظام، بل يجب عليهما أنْ يزيدا الطفل تمسّكًا بهذه الصفات:

- فيزيدا من محبته وأنسه بالأسرة، والاستمتاع بأفرادها، باللطف معه، والرفق به، واصطحاب الأب له.

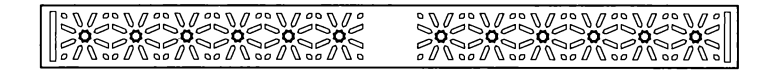
- ويزيدا من حبه للألعاب التي فيها حركة وجري وذكاء، ويوفراها له بقدر المستطاع، ويُشْركانه في البحث عنها واختيارها.

- ويغرسا في قلبه عظيم مكانتهما، وأهميّة توجيهاتهما، وأن يكونا قدوة صالحة بحسن تعاملهما، وصلاحهما.

أعرف أبًا حريصًا على تربية أولاده، عاش معهم أحسن عيشة، وكانت بينهم أُلفة ومحبة وترابط، إلى أن بلغ ولده سنّ العاشرة، فبدأ بالتعلق بأصحابه؛ لأنه يُخالطهم كثيرًا في المدرسة، وعند ركوب الحافلة، وفي حلقة تحفيظ القرآن، فتأثر من سلوك بعض أصدقائه، ثم تساهل والده معه بكثرة الخروج مع أصدقائه، ومجيئهم إليه، وسمَح له باقتناء الجوال في سنٍّ مبكّرة، فتعلق بأصحابه تعلّقًا شديدًا، وأدمن استخدام الجوال، وهذا التعلق والإدمان ازْداد يومًا بعد يوم، إلى أن أثّرت على أخلاقه، ورقّ دينه، وهجَر القرآن، وأهْمل الدراسة، ونفَر من البيت، فندم الأب أشدّ الندم، مع أنه كان مجتهدًا في طريقة

تربيته، ولكنه أدرك أنّه قد جانب الصواب في بعض طرق تربيته، فكان ذلك من أقوى الأسباب التي جعلت الابن يصل إلى ما وصل إليه.



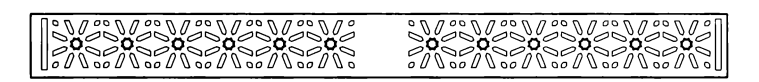


تصرّف ابنتي كتصرّف الطفل الصغير

لاحظتُ أنّ إحدى بناتي ـ أصلحهن الله ـ وكانت في الصف الرابع الابتدائي تتصرف كتصرف طفل صغير عمره دون السابعة، وتُصاحب أختها التي في الصف الأول الابتدائي مصاحبة فيها إفراط، فنبهّتني أمّها ـ جزاها الله خيرًا ـ، وقالت لي: السبب هو أنك لم تُشبعها حنانًا وعاطفةً؛ لانشغالك، وصرفِ الحنان والعاطفة للصغار.

فشكرتها على تنبِهها وصوابِ رأيها، فأوْليتُها اهْتمامًا، وأشبعتها حنانًا وعاطفةً، وأصبحتُ ألتفت إليها وأضحك معها، وأضمّها إلى صدري، وأضعها في حجري، فزالت تلك المشكلة بحمد الله.

ونستفيد من هذا درسًا: أنّ الولد مهما كبر فإنه يحتاج من الوالدين حنانًا، وعاطفةً، ورحمة، ورقة، وكلامًا طيّبًا، وعباراتٍ جميلة، وخاصة البنات، فهنّ أشدّ حاجةً.



غرس التعلق بالله في قلوب الأولاد

من أهم الأمور في التربية الصالحة: غرس التعلق بالله في قلوب الأولاد، وملأ قلوبهم بقرب الله وإجابته لدعاء من دعاه صادقًا مخلصًا، وتعظيم الله في نفوسهم، وألا يجترئوا على مخالفته.

قالت إحدى الأمهات: قالت لي ابنة أختي البالغة سن الثانية عشرة: أنا مُصابة بمرض لازمني منذ سنوات، فدعوت الله في إحدى ليالي رمضان عند وقت السحر وأنا أبكي بحرقة أن يعافيني منه إلى أن أموت، فأجاب الله دعائي، فشفيت بحمد الله، ولم أر أثرًا لهذا المرض بعد ذلك.

وقالت أخرى عن ابنتها البالغة سن العاشرة: ذهب والدها ذات يومٍ إلى محل الألعاب ليشتري للأولاد دراجات صغيرة، ولم يحسب لها حسابًا؛ لأنه قد اشترى لها دراجةً قبل مدة، فلما علمت ابنتي بذلك لزِمَت الاستغفار، فقلت لها: من المستحيل أن يشتري

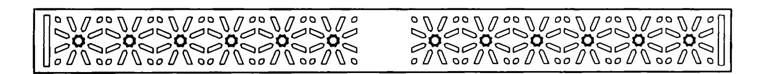
لك وعندك هذه الدراجة، فقالت: سيشتري لي بإذن الله؛ لأني استغفرت الله!

قالت: فجاء والدُها إلى البيت وقد اشترى لهم جميعًا، فجعَلت تضحك فرحًا واستبشارًا؛ لعدم تخييب الله لظنّها، وسرعة فرجها لَمَّا طلبت المغفرة من ربها، وقالت لي: أرأيتِ! استغفرت الله فاشترى لي معهم.

فتعجب والدُها مما حدث وقال: ما الأمر؟

فأخبرتُه بما حدث فقال: سبحان الله، لم أكن أنوي أن أشتري لها، لكن لَمَّا وقعت عيني على الدراجة قلت: سآخذ هذه لها.





سُقوط طفل في حفرة عميقة

إنّ من أعظم أسباب حفظ الأولاد من الشرور والمصائب:

١ ـ صلاحَ والديهم.

٢ ـ كثرةَ دعاء الوالدين لهم بأن يحفظهم، واجتنابهم الدعاء عليهم، وهذا منهيّ عنه، قال النبي ﷺ: **«لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسْأل فيها عطاء فيستجيب لكم»**(١).

وقال: **«لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإنَّ الملائكة يُؤَمِّنون على ما تقولون»**(٢).

٣ ـ تعويذَهم وتلقينَهم الأوراد الشرعيّة.

فقد كان رسول الله ﷺ يعوِّذ الحسن

---

(١) رواه مسلم (٣٠٠٩).

(٢) رواه مسلم (٩٢٠).

والحسين رضي الله عنهما ويقول **«إن أباكما إبراهيم كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أُعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة»**[١].

٤ ـ الصدقةَ وتفريجَ كرباتِ المسلمين.

قال ابن القيم رحمه الله: «إن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم، بل من كافر؛ فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهلُ الأرضِ كلُّهم مُقِرُّون به؛ لأنهم قد جرَّبوه»[٢]. اهـ.

قال أحد الخطباء: خطبت خطبةَ الجمعة ذات مرّةٍ، ورغَّبت الناس في الصدقة، وقد تصدقت قبل

---

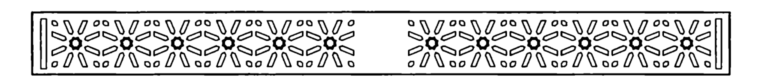
(١) رواه البخاري (٣١٩١).
والمعنى: ألْتجئ وأسْتجير بكلمات الله التي كوّن بها جميع المخلوقات والذرات والْجُزَيئيَّات، الكاملة في فضلها وبركتها ونفعها، من كل شيطان إنسيّ وجنيّ، وهامّة، وهي كل حشرة ذات سم، ومن كل عين لامّة، وهي التي تصيب بسوء، وتجمع الشر على المعيون.

(٢) الوابل الصيب (١/ ٦٩).

الخطبة، وكنت أدعو لأولادي كلّ يوم بأن يحفظهم الله ويهديهم، وفي اليوم الذي خطبت فيه سقط ابنٌ لي عمره ثلاثة أعوام في حفرة صلبة قرب منزلي، عمقها ثلاثة أمتار، وفي أسفلها حصى، والعجيب أنه لم يُصب بأيّ أذى، سوى بعض الخدوش اليسيرة، فحمدت الله وأيقنت أن الله حفظه ولطف به.

وقد رأيت الحفرة بنفسي، فتعجبت من سلامته، ولولا حفظ الله ورعايته لَمَا سَلِم مَن سقَط في مثل هذه الحفرة العميقة الصلبة.





معاناة أبٍ مع ابنته الطائشة

حدّثني أحد الآباء الناصحين المربين عن قصته مع ابنته، التي شاب عقلَها شيءٌ من ملوثات الأفكار السَّامة، وأفسد بعض طباعها شيءٌ من ملوثات السلوكيات الخاطئة، وذكر تجربَتَه الناجحة في إقناعها بفساد هذه الأفكار والسلوكيات، فعَصَمَتْها من الْولوغ في براثن الرذيلة.

قال: ربَّيْتُ ابنتي تربية رجاءَ أنْ أرى نتائجَها إذا كبُرَت، بنفعِها وحنانِها وبرِّها، ثم بزواجها ورؤيةِ أطفالها، ولكنها بعد ما بلغت سنّ المراهقة بدأ سلوكُها يميل وينحرف، وأكثَرَت من الانعزال، فاكتشفت أنها تقع في سلوك منحرف خطير، فكأنّ صاعقة من السماء نزلت على رأسي فثَلَمَتْه، وكأنَّ الأرض انشقَّت فخسفت بي.

من أين وكيف أبدأ معها، ماذا أقول وكيف سأفعل.

فما كان مني إلا أن صارحتها فاعترفت، وأَبْدت ندمَها وعزْمها على عدم الرجوع لِمَا كانت تفعله، وليت الأمر انقضى على ذلك، بل استمرت على خطئها، وتشبّثت بغيها، فإذا وعظتها وبينت لها مخاطر ما تقوم به تتأثر حينًا ثم سرعان ما تعود إلى ما كانت عليه.

وقد عشت في همّ وغمّ لا يعْلمه إلا الله، وما من أسلوب أرى جدواه إلا استعملته فما نفع، فجعلت أدعو الله بتضرع وإلحاح بأن يهديها هداية من عنده، فقد أغلقت الأبواب إلا باب الله، وباب الله لا يُغلق.

فألهمني الله طريقة ليست من عادتي، وأسلوبًا ليس من طبعي، وهو أني أحضرتها عندي، ونصحتها برفق، وذكّرتها بالله وعظمته، وحذرتها من بأس الله وعقابه وعذابه، ثم في نهاية الجلسة أخذت برأسها وقبّلتُه وأنا أبكي شفقةً وخوفًا عليها، وحسرةً وألَمًا مما حلّ بها، ورجوتها أن تترك ما هي عليه، وبيّنت لها معاناتي وشدّة تعبي وأَلَمِي من سلوكها المشين، الذي لا تُقدّر خطره، ولا تُدرك ضرره، فتأثرت أيما

تأثر، وبكت وندمت على ما فعلت، فهداها الله بعد ذلك، واستقامت وأقلعت عما كانت تفعله بفضل الله تعالى.

ونستفيد من هذه القصة المؤثّرة دروسًا:

١ ـ أن الله لا يخيب من دعاه، فسيستجيب ولو بعد حين، فلابدّ من ملازمةِ الدعاء مع بذل الأسباب الأخرى.

٢ ـ أنّ من إجابة الله لتفريج همّك قد يكون بإلهامك الحل المناسب النافع، وتوفيقك له، وإعانتك عليه.

٣ ـ أنّ الأب الناصح المشفق يجعل الرفق والنصح هو الأساس في التعامل مع أخطاء أولاده وانحراف سلوكياتهم وتلوّث أفكارهم، فالعنف يزيدهم ـ في الغالب ـ إصرارًا على أخطائهم، وتمسّكًا بآرائهم الخاطئة.

٤ ـ ألا ييأس كلّ والد ووالدةٍ من هداية أولادهم؛ فإنه لا ييأس من روح الله وفرجه ولطفه إلا القوم الكافرون.

قال الشاعر:

وكل الحادثات إذا تناهت
فموصول بها الفرج القريبُ

وقال الآخر:

ولرُبَّ نازلة يضيق بها الفتى
ذرعًا وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فُرِجَت وكان يظنها لا تفرجُ

وقال أبو العتاهية:

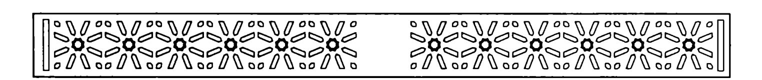
يا صاحب الهم إن الهمّ منفرجٌ
أبشر بخير فإن الفارجَ اللهُ
الْيأس يقطع أحيانًا بصاحبه
لا تيأسنَّ فإن الكافيَ اللهُ
الله يُحدث بعد العسر ميسرة
لا تجزعنَّ فإنَّ الكاشف اللهُ
إذا بليت فثق بالله وارضَ به
إن الذي يكشف البلوى هو اللهُ
والله ما لك غير الله من أحد
فحسبك الله في كلٍّ لك اللهُ

٥ ـ أن من الحكمة في التعامل مع الأولاد: الاهتمام ببقاء الوصل معهم، حتى ولو وصلوا إلى مرحلةٍ مقلقة جدًّا من الانحراف والسّوء، كي لا ينفرد بهم شياطين الإنس والجنّ، فيزيدونهم غواية وضلالًا.

٦ ـ أنّ من المهم في التربية والدعوة أن يزداد الوالد شفقةً ورحمةً ولطفًا مع الابن والبنت كلما ازدادوا انحرافًا وبعدًا.

٧ ـ أنّ صلاح الأولاد توفيق من الله أولًا، ثم له أسباب تُعين عليه، والموفق من أتى بها، فإن نفعت فالفضل لله، وإن لم تنفع فلا لوم عليه، وهو ابتلاء من الله ليختبر صبره.





أعظم وسيلةٍ لصلاح أولادك: الدعاء الصادق الدائم لهم

الدعاء الصادق لأولادك في جميع أحوالك: عند الغضب والرضا، والفرح والحزن: أعظم سبب بعد توفيق الله لصلاحهم وهدايتهم.

قال مطرف بن الشّخّير رَحِمَهُ اللَّهُ: نظرت في بدء هذا الأمر ممن هو؟ فإذا هو من الله تعالى، قلت: فعلى من تمامه؟ فإذا هو على الله تعالى، ونظرت ما ملاكه؟ فإذا ملاكه الدعاء(١).

وصدق القائل:

أَلَيْسَ اللهُ في كُلٍ قَرِيْبًا؟
بلى! مِن حَيثُ ما نُوُدِي أجابَا
ولم ترَ سائِلًا لله أكْدَى
ولَمْ تر راجيًا لله خابَا

(١) حياة السلف بين القول والعمل للمؤلف، الطبعة الرابعة: ٢/ ١٤٠.

وقال أصدق القائلين: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾.

فلا يفتر لسانك من الدعاء لهم: إذا أمرت أو نهيتَ أحدهم فاختم أمرك ونهيك بدعاء، وإذا نصحت فاختِمْها بدعاء.

ووالله لن يضيّع الله لك هذه الدعوات الصادقة الخالصة.

وقد تأملت في حال الموفقين في التربية والعلم والعمل، والدين والدنيا، فوجدتهم يكثرون الدعاء الصادق.

كان إِبْرَاهِيم بن عَبْد الْوَاحِد المقدسي الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفقيه العابد: كثير الدعاء بالليل والنهار، وكان إذا دعا كأن القلب يشهد بإجابة دعائه مِن كثرة ابتهاله وإخلاصه، وكان إذا شرع في الدعاء لا يَكاد يَقطعه[1].

ولقد نفعني الله بكلمات قالها لي أحد الصالحين ـ أحسبه كذلك والله حسيبه ـ: «لقد اتخذت

(١) المصدر السابق: ١/ ١٩٥.

الدعاء أول وأهم وأعظم خطوة لكل أمرٍ أهمّني، أو حاجةٍ أَلَمَّت بي، أو مصيبةٍ حلّت بي.

ولا أذكر أني منذ خمسة أعوام قرأت القرآن بين الأذان والإقامة، بل خصصت هذا الوقت الثمين للدعاء، وقد وجدت أثر ذلك علي وعلى أهلي وأولادي بحمد الله».

فلازمتُ الدعاء بين الأذان والإقامة فوجدت لذلك أثرًا طيِّبًا واضحًا.

أعرف أبًا ناصحًا له عناية بالتربية، ابتُلي بابن غافل مقصّر في حقه، قال: انشغل ابني عني وأنا في أمس الحاجة إليه لقضاء شؤون بيتي وأهلي، وكثيرًا ما يعتذر عن طاعتي والاستجابة لي بسبب انشغاله بهواية أضاعت وقته وصرَفته عن مصالحه ومصالح أهله.

وقد حاولت أن أقنعه على مر سنوات كثيرة بأن يتركها فلم أستطع، وأخبرته بأنها تلهيه عن دراسته وأهله، وقد ترك عملًا فيه خير له في دينه ودنياه لأجلها، واستعنت بطرق كثيرة، وحاولت عدة

محاولات فلم أستطع أن أزحزحه عن رأيه قيد أنملة، بل كان يزداد غلوًّا وتمسّكًا.

وفي يوم من الأيام اتصلت لحاجة ألّمت بي، وطلبت منه أن يحضر للبيت، فاعتذر أنه منشغل في هوايته، فألححت عليه فأبى أن يأتي، فرفعت يدي إلى السماء وقلبي يعتصر أَلَمًا من تصرفاته وصدوده، فتوجّهت إلى الله بالدعاء بأن يصرفه عن هذا الأمر ويُبغّضه إليه، فاستجاب الله دعائي، وانصرف عنه ولله الحمد.

فقلت له: يابنيّ، إنّ من نعمة الله عليّ وعليك أن وفّقني للدعاء لك لا عليك، فلنحمد الله يا بنيّ على هذه النعمة العظيمة.

فلا تيأس ـ أيها الأب وأيتها الأم ـ مما تلقاه من أولادك أو من أحدهم، ولازم الدعاء الصادق، فلن يخيبك الله ما دمت تدعوه وتُلحّ عليه، وسيسخر الله أسباب هدايتهم إن شاء الله تعالى.

وسأروي لك ـ أخي الأب وأختي الأم ـ هذه القصة التي تبيّن أهميّة الدعاء:

طلبتُ من أحد الأصدقاء أن نسافر إلى المدينة

النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فوافق جزاه الله خيرًا، فانطلقنا صباح يوم الخميس، فبتنا فيها، فلما جاء وقت الفجر ذهبنا للمسجد النبوي، ومعنا تمر وقهوة، فلما صلينا جاء رجال الأمن وطلبوا منا أن نغادر موضعنا، فذهبنا إلى جهة أخرى، فجلسنا فيها، وبعد أن انتهينا من احتساء القهوة بقيت فيها بقيّة، فجعلت ألْتفت يمنة ويسرة لأقدم باقيها لأقرب الناس حولنا، وهم كثر، فكلما وقعت عيني على أحد صرف الله عني النظر إليه، حتى وقعت عيني على رجل منشغل بكتاب معه، فقمت إليه وقلت له: تريد قهوة؟

فرفع رأسه إليّ باستغراب شديد وقال: قهوة عربية؟

قلت: نعم، فرأيت علامات التعجب ظاهرة في وجهه، فقال: نعم أريدها، فأحضرتها إليه، فقال لي: لماذا اخترتني من بين هؤلاء كلهم؟

فقلت: لا أعلم، وجعلت أسكب له من القهوة وأقدم له التمر وما صاحبه من طعام لذيذ، فلما انتهت

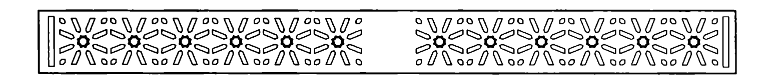
القهوة قمت لأرحل وودَّعْته، فقال لي: لم تجبني، لماذا اخترتني من بين هؤلاء كلهم؟

فتَعّجبتُ من إصراره على هذا السؤال، فقلت: لقد صرفني الله عن كل هؤلاء، وقذف في قلبي الرغبة في المجيء إليك.

ففرح وجعل يحمد الله كثيرًا وقال: لقد أتيت من فرنسا، ودعوت الله أن أشرب القهوة العربية، فاستجاب دعائي!

فقلت: سبحان الذي ساقني إليك وأخرجني من بلدي لأقدم لك القهوة.





أثر صلاح الأم على صلاح الأولاد

تأملت كثيرًا في سبب صلاح الأولاد وفسادهم، فوجدت أن جلّ الأولاد الصالحين في أمور دينهم أو دنياهم وراءهم أمّ حباها الله بهذه الصفات:

١ ـ الصلاح والاستقامة.

٢ ـ الرفق والحلم وسعة الصدر.

٣ ـ الدعاء الصادق لها ولأولادها.

٤ ـ الحرص على التربية والتعليم والتوجيه والنصح.

وصدق حافظ إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعدَدْتَها
أعددْتَ شعبًا طيبَ الأعراقِ
الأمُّ أستاذُ الأساتذةِ الألى
شغلتْ مآثرهم مدى الآفاقِ

ولو كان الأب مقصرًا أو منحرفًا فالأثر الكبير

يكون في كفّة الأم غالبًا، فهي الأصل في التربية والأب فرع، فإذا طاب الأصل لم يضرّ فساد الفرع، وإذا فسد الأصل وطاب الفرع ضرّ إلا أن يشاء الله.

وإني مع كثرة التأمل لا أكاد أجد امرأة تفتقد هذه الصفات وأولادها صالحون، ولو كان الأب يتّصف بها، إلا مع صدق الأب مع الله وشدة نصحه وقربه منهم فإنّ الله لا يخيب من صدق معه، وأخلص له.

فإذا أردت ـ أخي الأب ـ أن ينشأ أولادك صالحين فعليك بصلاح أمهم؛ بتعليمها ونصحها، وحثّها على قراءة الكتب النافعة في هذا الباب، وسماع نصائح الناصحين من أهل العلم والخبرة في مجال التربية.

وإليك وصايا وأساليب أمٍّ مربية ناجحة في تربيتها، مخلصة في نصح أولادها، الذين أكرمهم الله بمزايا جميلة، وأخلاق طيبة، وطباع فاضلة:

الأساليب الناجحة في التربية:

الأسلوب الأول: الهدوء والرفق حال الرضا وحال الغضب.

الأسلوب الثاني: العناية الكبيرة بالجلوس والحديث معهم.

الأسلوب الثالث: الدعاء لهم دائمًا عند رؤيتهم وتحيتهم، وإسماعهم العبارات الجميلة التي تُدخل السرور عليهم؛ مثل: أهلًا بك، حياك الله، نوَّر الله دربك، بارك الله فيك، صليت أثابك الله؟

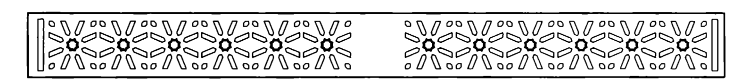
الأسلوب الرابع: تعليمهم الاستغفار توبةً وعبادةً لله، ثم بقصد تفريج الهم، فمثلًا: إذا كان لدى ولدي واجبات مدرسية كثيرة أجعله يجيب عن الأسئلة وهو يستغفر، فلا يتوقّف عن الاستغفار إلا حين الانتهاء من الواجب، فيزول همّه بحمد الله.

الأسلوب الخامس: تحري أوقات وأماكن إجابة الدعاء، وتذكيرهم بما يهمهم من الأمر عند هذه الأوقات: كالسجود، وعند نزول المطر، وبين الأذان والإقامة، وتذكيرهم بإجابة المؤذن، وقول الذكر

المشروع بعده، وأنه فرصة ثمينة تتكرر خمس مرات في اليوم لإجابة الدعاء.

الأسلوب السادس: البداءة بنفسي قبلهم في كل عمل أطلبه منهم؛ لأكون قدوة حسنة يقتدون بي.





التأسّي بنبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ

إذا اشتدّ عليك ـ أيها الأب ويا أيتها الأم ـ ما تجده من غفلة أحد أولادك وعدم استجابتهم لك تذكر قصة نبيّ الله نوح عليه الصلاة والسلام، وكيف لم يستجب له ابنه مع ما يتميّز به أبوه من شرف الرسالة، وكمال الشفقة، وحسن الأخلاق، وقوة الحجة، وطول العشرة.

فإذا لم يستجب الابن لأبيه الذي شرفه الله بكل هذه الخصال وغيرها، فلا غرابة في عدم استجابة ولدٍ لأبيه الذي لم يبلغ هذه المنزلة، ولم يحظ بأكثر هذه الخصال أو كلّها.

تأمل هذا الحوار الذي دار بين الأب المشفق الناصح الأمين وبين ابنه العاق الضال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون، فلم يستجب مع يقينه بكمال شفقة أبيه ونصحه، بل قال: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾، فاعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلى رؤوس الجبال، وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجَّاه ذلك من الغرق، فقال له أبوه نوح، عليه السلام ناصحًا مشفقًا: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ أي: ليس شيء يعصم اليوم من أمر الله، فلم يُطعه مع يقينه وعلمه بأنه صادق بارّ، ولكنه استمرّ على إعراضه عن أبيه، واستكباره على طاعته، ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

وتذكر ذلك النبيّ الذي يأتي يوم القيامة وليس معه أحد، قال النبي ﷺ: **«عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرُّهيط**[1]**، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد»**[2].

فهذا نبيّ مؤيّد بالرسالة والمعجزات والحجج

(١) هم الجماعة دون العشرة.

(٢) رواه البخاري (٥٣٧٨) ومسلم (٢٢٠).

والبراهين، ومع ذلك لم يستجب له أحد، لا والد ولا ولد، ولا زوج ولا صديق.

فإذا بذلت نصيحتك لأولادك ولم يَسْتجيبوا كلّهم أو بعضهم لك أو لم تجد قبولًا فلا تقل: ضاع وقتي، أو ذهب كلامي هباء.

بل إنَّ نصائحك محفوظة، وثوابك مضمون، عند من لا تخفى عليه خافية سبحانه وتعالى، وستراها يومًا في صحائف أعمالك، ما دمت تبتغي بها وجه الله.

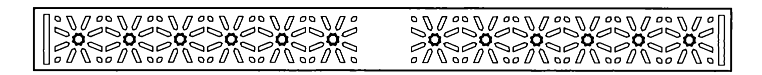
فقد حفظ الله نصائح الأنبياء والصالحين رغم عدم مبالاة أقوامهم بها، وأخبرنا ـ تعالى ـ عن نصائح لقمان لابنه، ولم يُخبرنا: هل انتفع بها أم لا.

فأنت مطالب بأن تبلّغ، لا بأن يُستجاب لك.

قال الله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ وقال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾.

فيا فرحتك وأنت ترى كل نصائحك في صحائف أعمالك الحسنة.





من فوائد الابتلاء بغفلةِ أحد الأولاد أو تقصيرهم في برّ والديهم

لقد قدر الله أن تكون هذه الحياة ميدانًا وموضعًا للابتلاءات والمصائب، التي تكون من أعظم الخير والحسنات لمن أحسن التعامل معها، وعلم ما في عاقبتها من الخير العظيم، والأجر الجزيل، وتكون من أعظم الشر والسيئات لمن أساء التعامل معها، وجعلها قنطرة إلى التَّسخط على أقدار الله، والاعتراض على قضائه سبحانه، وتسببت في إعراضه عن طاعة ربه، والرضا بما يقدره ويقضيه.

وما أحسن ما قاله ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن زمان الابتلاء ضيف، قِرَاه الصبر[1]. اهـ.

فإذا حلّت الابتلاءات ضيفًا عليك وأحسنت ضيافتها بالصبر عليها، والرضا بمن قدرها عليك

---

(١) القرى: طعام الضيفان.

واختارك من بين الناس لتكون في ضيافتك وجوارك: نثَرَت عليك ما تخفيه من البركات والخيرات والمنافع العظيمة، وإذا أسأت ضيافتها بالجزع والتَّسخط: خسرت هذه البركات والخيرات والمنافع العظيمة.

وما رفع الله مَن رفع مَن المؤمنين الصابرين إلا بهذه الابتلاءات والمصائب التي جعلوها سلَّمًا إلى رضا الله وجنته والدار الآخرة، فعلموا أن المقصود منها تمحيصهم وتهذيبهم، فاجتهدوا في إصلاح بواطنهم بتقوية إيمانهم، ورضاهم بربهم المدبر لشؤونهم.

وإنّ مقدّر المصائب والمواقف المُؤلمة حكيم رحيم، ولن يقدّرها عليك إلا رحمةً بك ولحكمة يعلمها.

ولو كشف لك عن مصلحتك فيها لاستحييت من حزنك عليها.

وإن الفوائد والمنافع التي يسوقها الله من خلال بوابة المصائب كثيرة وعظيمة جدًّا، ومن لمس بعضها سيُصْبح شكرُ الله وحمده والثناء عليه لا يفارق لسانه،

وحينما يجد الوالد تقصيرًا أو عقوقًا أو غفلةً من بعض أولاده فلْيُبَرِّد حرّ مصيبته بتذكر هذه اللطائف التي ساقها الله له.

ومن أعظمها:

١ ـ شدة افتقاره إلى الله وتضرعه له، وسيجد طعم الافتقار والتضرع والابتهال.

وربما طرقتَ كل الأبواب التي من خلالها ترجو صلاحهم وهدايتهم فتجدها مغلقة، وربما عملتَ كل وسائل وطرق صلاحهم وهدايتهم فلم تفلح، فسيبقى الباب الذي لا يُغلق، والطريق الذي لا يخيب سالكه، وهو التعلّق بالله ودعاؤه والافتقارُ إليه.

٢ ـ خروج التعلق بالأسباب من قلبك، ويقينك بأنّ الهداية إلى الصراط المستقيم هِبةٌ ومنْحةٌ وكرامةٌ من الله، وإنما دورك التوجيه والنصح والإعذار أمام الله.

ولا تكن ممن يرى أنّ التربية الناجحة هي السبب الوحيد في صلاح الأولاد، وأن انحرافهم هو من تقصير الوالدين أو أحدهما، بل إنّ صلاحهم

راجع إلى محض التوفيق، فقد ترى أولادًا صالحين وآباؤهم في غاية الفساد، وكذلك العكس.

ولو تأملتَ في حال الأولاد لرأيتَ أنَّ منهم من يستجيب للنصيحة، ويسابق إلى مرضاة ربه، ومنهم عكس ذلك.

٣ ـ الصبر، واحتمال الأذى، والحلم، والأناة.

أعرف رجلًا ناصحًا في تربية أولاده يقول: كنت قبلُ لا أكاد أحتمل زلةً من أحد أولادي، وربما تضجرت وغضبت، وأما بعدُ فقد أكرمني الله ببعض المنغصات من جهة الأولاد، فهذبتني وقوَّمتني وحسَّنت شيئًا من أخلاقي، وقوَّت عزيمتي، وزادت من صبري وحلمي.

٤ ـ الرجوع إلى السبب الذي من أجله سُلّط عليك، وهو ذنوبك، والله تعالى إنما يُسلّط على عبده بذنوبه ولا شك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾.

«فإذا شهد العبدُ أن جميع ما يناله من المكروه سببُه ذنوبُه: اشتغلَ بالتوبة والاستغفار من الذنوب التي

سلَّطهم عليه بسببها عن ذَمِّهم ولَومِهم والوقيعةِ فيهم.

وإذا رأيتَ العبدَ يقع في الناس إذا آذَوْه، ولا يَرجع إلى نفسِه باللوم والاستغفار: فاعلمْ أنَّ مصيبتَه مصيبةٌ حقيقية، وإذا تاب واستغفر وقال: هذا بذنوبي، صارتْ في حقِّهِ نعمةً.

والمؤمن العاقل الحكيم التقي: لا يلتفت إلى المصائب التي تناله من الناس، لأنه أوكل جميع شؤونه إلى خالقه ومدبّره، الذي بيده نواصي الناس كلهم، فلو شاء لعطفهم عليه، وسخرهم له.

وإليك هذا المشهد العظيم حقًّا، الذي عظّمه ابن القيم رحمه الله وأكْبره وأجلَّه، حتى أحْجم عن التصريح به، واكْتفى بالمثال عليه، وذكر أنّ العبارة تجفو عنه، وأنّ الإشارة إليه بعض الإشارة..

وهو أن تُوْقن حقّ اليقين وتشهد بقلبك انفرادَ الله تعالى بالخلق، وأنَّ ما يحصل من خير وشرّ، ونفع وضرّ إنما هو بمشيئة الله وتقديره وعلمِه، وجرى به قلمُه، وهذا يفتح لك باب الاسْتعاذة به في كلِّ أمورك، ودوامَ الالتجاء إليه والافتقار إليه في كلّ

شؤونك، ومتى فُتح لك هذا الباب: قرّبك ربك الرحيم الودود من عتبة العبودية، وطرحك عند بابه فقيرًا عاجزًا مسكينًا، لا تملك لنفسك ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

ويكون دَأَبُك وشغْلُك الشاغل بعد ذلك في البحثِ عن عيوب نفسِك وأعمالِها، التي بسببها سُلّط عليك، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾، فما أصابك هو بعض ما اقترفَتْه يداك.

فإذا أُصبت بمصيبة، أو تسلّط عليك عدوّك، أو جفاك صديقك، أو عقّك ولدك، أو كرهك حبيبك: شهدت بقلبك تسلّط عدوّك الشيطاني أو الإنسيّ عليك، وأنت مع ذلك ملتفتٌ إلى ربك وناصرِك ووليك، عالمٌ بأنّ نجاتك بيديه، وناصيتك بين يديه، وأَنه لو شاءَ لأعانك وخلَّصك من يديه، فتتضرع إليه وتتذلّل له وحده.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا مشهد عظيم المنفعة، جليل الفائدة، تحته من أسرار العبودية ما لا يناله الوصف.

وفوقه مشهد أجلُّ منه وأعظم وأخصّ، تجفو عنه العبارة، وإنَّ الإشارة إليه بعضُ الإشارة، وتقريبُه إلى الفهم بضرب مَثَل تَعْبُر منه إليه». .اهـ.

وهو شهودك أنّ كل مصيبة وبليّة فالله الرحيم العليم الحكيم قَصَدها وساقها إليك، واختارك لها من بين الناس؛ ابتلاء واختبارًا لك؛ لينظر صبرَك عليها، ورضاكَ به، وتوجّهك والْتفاتَ قلبك حينها يكون لمن؟

وهو لم يصرّح بهذا المشهد، ولكن ذكر مثالا لتستوعب العقول فهمه، واللبيب بالإشارة يفهم، ذكر أنّ مثَلَه مَثَل عبدٍ مملوكٍ لدى سيّد غنيّ كريم محبّ له، مُشْفق عليه، فأخذه بنفسِه، وقدَّمه ليضرب عنقه بيده، فأَحْكم رَبْطه وأغْمَض عينيه، وقد أَيقن العبد أنه في قبضته، وأنه هو قاتله لا غيره، وقد علم مع ذلك برَّه به ولطفَه ورحمتَه ورأفتَه وجودَه وكرمَه، فجعل يناشده ويتوسّل إليه بأوصافِه، ويَدْخل عليه به: يا سيدي، أنت المشفق علي، والرؤوف بي، والكريم علي، والمحسن إلي، قد أُغلِقت عليّ الأبواب إلا بابك.

قد انْقَطَعت كلّ السُّبل لنجاته إلا السبيل إليه، وتلاشت فرص الحياة إلا من قِبَله، وذهب عن خاطره وفِكْرِه كلُّ سبب، فانقطع تعلُّقه بكلّ شيء إلا به، فهو مُعْرض عن عدوِّه الذي سلّطه سيّدُه عليه عقوبةً أو ابتلاءً واختبارًا لصبره وقوة محبته له، وتعلّقه ورضاه به.

فحاله كحال من جاءته مصيبةٌ ومحنةٌ على يد عدوٍّ من الإنس أو الجنّ، فهو يعلم أنّ الله تعالى هو الذي سلّط ذلك العدوّ، فهو مشغول بالتوبة والرجوع إلى الله، وطَلَبِ العون منه، ولم ينشغل بالطعن في عدوه، وسبِّه وعيبه.

وكحال من غلَبَتْه شهوته أو غضبُه فعصى الله تعالى، فهو يعلم أنّ الله هو الذي سلّط الشيطان عليه وتغلَّب عليه، فهو مشغول بالتوبة والإنابة والاستغفار، ولم ينشغل بلوم الشيطان المتسبب بذلك.

وهو بمنزلة من قد أخذه محبوبُه وجعَل يخنقه، وهو لا يشهد إلا خَنْقَه له، فهو يقول: اخنق خنقك، فأنت تعلم أن قلبي يحبك(١).

---

(١) طريق الهجرتين بتصرف (ص٣٨٢ ـ ٣٨٤).

وإذا تأملت ما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعَمِلْت به: تغيّرتْ حياتك وعشت في جنَّةِ الأنس والسعادة، وزالت همومك وغمومك تجاه ما تراه من تسلّط الأعداء عليك أو على غيرك، وتغيَّرت نظرتك تجاه المصائب وأذى الناس، وتسلّطِ الشيطان عليك بإضعاف همّتك، واتباع هواك في الشهوة والغضب.

وكلما صدق العبد مع الله: انقطع إليه حتى في أحْلَكِ الظروف، ولم ينشغل بعدوه وخصمه عنه، وإذا ابتلي بولد عاق، أو زوجة ناشز، أو صديق خذَله، أو عدوٍّ تسلَّط عليه، أو حاكم ظلمه: لم ينشغل قلبُه وفكرُه بالدفاع عن نفسِه، وسبِّ عدوّه، وعتاب صديقه وولده وزوجته، بل يشهد أنّ الله تعالى هو الذي سلّطهم عليه لحكمةٍ يراها ويعلَمُها.

فسلّم أمرك لله، واسْأله أنْ يهديك ويهدي ولدك الذي ابتلاه بالمعاصي والكسل واتّباع الهوى.

ومتى علم الله تعالى كمال افتقارك إليه في كلّ شؤونك، وعدم التفاتِك إلى حظوظ نفسك، وانتقامك لها: تولّى شؤونك بتمام التوفيق والإعانة والبركة والتسديد.

ولن يُخيّب الله تعالى عبدًا رأى قلبه قد انقطع إليه، واتَّكل عليه، وفوض كلّ أمورِه إليه، وأحسن ظنَّه به، وزهد بما عند الناس، وطمِع فيما عنده، وخافه ولم يخفْ أحدًا معه، وأحبَّه ولم يُحبّ أحدًا معه، ورجاه ولم يرج أحدًا معه، ويُصبح ويُمسي، وينام ويستيقظ وهمّه وشغله وغايته رضا الله»[١].



(١) فن التعامل واكتساب الأخلاق للمؤلف، ص٢٧٣ ـ ٢٧٩، مع تصرف يسير.

لا تحسب أنّ عقوق ولدك شرٌّ لك

أيها الأب: كلما هجم عليك الهم أو الحزن بسبب ما تلقاه من تقصيرِ أحد أولادك أو عقوقه أو ضلاله: فتذكر ثلاثة أمور:

الأمر الأول: قول الملائكة عليهم السلام لما خلق الله آدم عليه السلام ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ وجواب اللطيف الخبير الحكيم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)﴾، فيزول همّك، ويذهب حزنك، وينشرح صدرك، كيف والله ﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾، ﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠)﴾ سبحانه وتعالى.

إنّ ما ظهر للملائكة عليهم السلام من خلق الله لآدم كان شرّا، فأخبرهم الله أنّه يعلم ما لا يعلمون من الحِكم الخفية عنهم، التي كلّها خير ونفع ومصلحة..

وإن كلّ محنة معها منحة، وكلّ بلية معها عطيّة، وكلّ شدة بعدها فرج، والسعيد من رضي بقضاء الله وأيقن أنه لا يقدّر شرًّا محضًا.

وإذا كنتَ لا تعلم من المصائب والفتن إلا الشرّ فالله يعلم ما فيها من الخير العظيمِ الذي يقدِّره بسببها، فلا تجزع ولا تحزن وأبشر، فالرب حكيم عليم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما السيئة فهو سبحانه إنما قدرها وقضاها لحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الربّ تعالى لا يفعل سوءًا قط، كما لا يوصَف به، ولا يُسمَّى باسمه، بل فِعْله كله حُسْن وخير وحكمة ومصلحة، كما قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾، وقال أعرف الخلق به: «والشر ليس إليك»، فهو لا يخلق شرًّا محضًا من كل وجه، بل كل ما خلقه ففي خلْقه مصلحة وحكمة»(١). اهـ.

الأمر الثاني: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

«وهذه الآية نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، حين رماها أهل الإفك والبهتان من

---

(١) شفاء العليل (٢/ ٥٢).

المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيِّه صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله ﷿ براءتها صيانةً لعرض الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام»[١]، ولقد تأذى النبي ﷺ وزوجُه عائشة ﵂ ووالدَاها والمؤمنون أيما أذى، ومع ذلك قال الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ أي: يا آل أبي بكر ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ «أي: في الدنيا والآخرة، لسانَ صدق في الدنيا ورفعةَ منازل في الآخرة، وإظهارَ شرف لهم باعتناء الله بعائشة أم المؤمنين، حيث أنزل الله تعالى براءتها في القرآن العظيم»[٢].

فلا تحسب أنّ عقوق ولدك أو ضلاله شرٌّ لك، بل هو خيرٌ، إذا صبرت على قضاء الله وقدره، وقمت بما أمرك الله من النصيحة والتوجيه.

الأمر الثالث: قول النبيّ صلواتُ الله وسلامه عليه: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمرَه كلَّه خير، وليس**

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥).

ذاك لأحد إلا للمؤمن، إنْ أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيرًا له، وإنْ أصابته ضرَّاءُ صبر فكان خيرًا له»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: جعل اللهُ سبحانَه وتعالى لعباده المؤمنين بكل منزلة خيرًا منه، فهم دائمًا في نعمةٍ من ربهم، سواءٌ أصابَهم ما يُحِبُّون أو ما يكرهون، وجعل أقضيته وأقداره التي يقضيها لهم ويُقدرها عليهم متاجرَ يَربحون بها عليه، وطُرُقًا يصلون منها إليه..

فهذا الحديث يَعمُّ جميعَ أَقضيتِه لعبده المؤمن، وأنها خير له إذا صبر على مكروهها وشكرَ لمحبوبها، بل هذا داخلٌ في مسمى الإيمان، فإنه كما قال السلف: الإيمان نصفان، نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٣٣﴾﴾[(٢)]. اهـ.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: ابتلاء المؤمن كالدّواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو نقصَت ثوابه، وأنزلت درجته، فيستخرِج

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب رضي الله عنه.

(٢) تقريب جامع المسائل للمؤلف، ص٤٠.

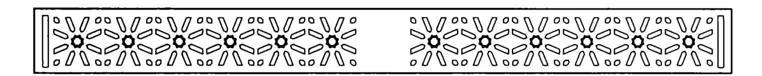
الابتلاءُ والامتحانُ منه تلك الأدواء، ويستعدُّ به لتمام الأجر وعلوّ المنزلة، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه..

فهذا الابتلاء والامتحان من تمام نصره وعزِّه وعافيته، ولهذا كان «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأقرب إليهم فالأقرب، يُبتلى المرءُ على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة شُدّد عليه البلاء، وإن كان في دينه رِقَّة خُفِّف عنه، ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على وجه الأرض وما عليه خطيئة**»[(١)][(٢)]. اهـ.



(١) هذا لفظ الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣) وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٩٣٥).



اللجأ إلى الله والتوسل إليه بصالح الأعمال

كن ـ أخي الأب وأختي الأم ـ دائم اللجأ إلى الله، قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «أجمع العارفون بالله على أن التوفيق هو ألا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلّي بينك وبين نفسك»(١). اهـ.

أعرف أبًا له عناية بالتربية، ابتُلي بعقوقِ أحدِ أولادِه، فكان ذلك سببًا لشدّةِ لجوئه إلى الله، وتوسله إليه بصالح أعماله، قال: أكرمني الله ببعض المحن المتعلقة بالأولاد، من جهة عدم استجابة بعضهم لتوجيهاتي، ومخالفة بعضهم لأمري، حتى أزداد تضرعًا وافتقارًا إليه، وكثيرًا ما أدعو بهذا الدعاء:

اللهم يا من هديت من حادَّك وحادّ رسولك ﷺ، وحاربك وحارب رسولك ﷺ، كعكرمة بن أبي جهل

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٩٨).

وصفوان بن أمية وخالد بن الوليد، اهد ابني فلان، فما علمته يقصد محادَّتك ومحادَّة رسولك ﷺ.

اللهم اشرح صدره للإسلام.

اللهم إني العبد الفقير قد عفوت عنه، فيا رب، أنت الغني العفو فاعف عنه، ولا تعاقبه بما فعل.

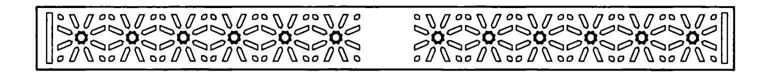
وكنت كثيرًا أطلب من أبي أن يبيت عندي، فإذا جاء آخر الليل أيقظته لصلاة الليل، بعد أن يتطهر وأطيبه وأعطيه السواك، ثم أدعو وأطلب منه أن يؤمن على دعائي: اللهم اهد أولادي وأصلحهم، واجعلهم قرة عين لي، اللهم افتح لهم أبواب الهداية والصلاح والخير.

وكثيرًا ما أقرأ قول الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

وكنت أقول: اللهم إنْ كنت تعلم أني أبرّ بوالدي ابتغاء مرضاتك فارْزقني برّ ولدي بي، وأصلحه واشرح صدره للإسلام. اهـ.

فما خيّب الله ظنّه، وما ردّ دعاءه وتوسّله، فأصلح من شأن ولده، وهجر العقوق بحمد الله.





سبب كثرة حماقات وسخافات وأخطاء بعض الأولاد

ما يفعله بعض الأولاد من حماقات وسخافات ليس بسبب مرض نفسي، أو مس، أو عين، أو مشكلة في دماغه، بل بسببِ تأثيرِ جلساء السّوءِ وغلبة الهوى عليه، حتى غطى وتغلّب على عقله ودينه، فلذلك يتصرف كثيرًا كتصرف المجانين والأطفال.

ولا يُمكن أن تقود ولدك إذا جثَم الهوى على قلبه، واستولى على عقله ولبّه؛ لأن الهوى هو الذي يقوده ويُحركه.

والهوى متقلّب متناقض، فلذلك يؤثر على صاحبه، فتراه متقلّبًا متناقضًا، لا يمشي على جادّة، وإذا أعطاك كلامًا فغدًا ينقضه، وإذا وعدك فغدًا يُخلفه، وإذا عاهدك فعن قريب يغدرك.

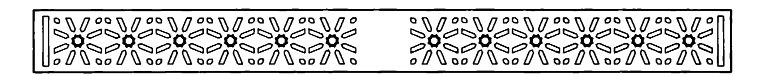
فجفّف منابع هواه ليعود إليه رشده، ويفيق من سباته، ويستيقظ من نومه، **وذلك بأمور ثلاثة:**

الأمر الأول: بتعزيز الإيمان بالله في قلبه، فمتى قوي إيمانه بالله وباليوم الآخر وبالجنة والنار ضعف سلطان الهوى.

الأمر الثاني: بصحبةٍ صالحةٍ ناصحة، تدلّه على الخير، وتحذّره من الشر، ويرى أفعالهم وأقوالهم المبنية على العقل والدين، فيُؤثّر ذلك عليه.

الأمر الثالث: بإشغال وقت فراغه بما ينفعه في دينه ودنياه.





زيارةُ الأب الْمُفاجئة لابْنِه في استراحته

أعرف طالب علم له عناية بالتربية، ابتلاه الله بابن فيه غفلةٌ وتفريط في دينه، وتقصير في حقّه، قال: طلب مني ابني مرةً أن يستأجر هو وأصحابه استراحة فرفضت؛ لِمَا أعلم من المفاسد التي تحصل فيها، فإنّ الشباب - إذا لم يكونوا من أهل الصلاح والعقل - وانعزلوا لوحدهم تجرؤوا على أمور ممنوعة محظورة، لكنه لم يقتنع من رأيي، ولم يستجب لنهيي، فاكتشفت بعد مدّة أنه قد استأجر استراحة مع أصدقائه، الذين ابتلوا بالدخان الذي يبدو جليًّا من مظاهرهم وروائحهم، وكان يُنكر أنه هو أو أحد أصدقائه يدخن.

فذهبت يومًا إلى الاستراحة وطرقت الباب على حين غرّة، ففتح أحدهم الباب فوقعت أعينهم عليّ، فاندهشوا وأُحرجوا، لأن رائحة الدخان تفوح من مكانهم، وعلب الدخان تملأ المكان.

فصُدمت والله وصُعقت وحزنت حزنًا شديدًا، فدخلت وأنا ساكت، لم أستطع الحديث من هول ما رأيت، فخيم السكوت علينا جميعًا، ثم قلت: أتيت إليكم طمعًا في رؤية منظر يسرّ، والجلوس معكم وشرب القهوة أو الشاهي، في مكان نظيف يليق بنا.

فهل ترضون لي أن أكون في مثل هذا المكان؟

قالوا: لا.

ثم قلت لولدي: ربيتك سنوات كثيرة لتصبح صالحًا بارًّا، ثم خنتني واعتزلتني وعصيتني، أهذا جزائي؟

فأخذ علبة الدخان وقال: كنت خلال هذه المدة الطويلة أُخفي عنك هذه الحقيقة، وهي أني أدخن، فكسر علبة الدخان وقال: أعاهدك ألا أدخن بعد اليوم، وقال أصحابه: ونحن نعاهدك كذلك.

ففرحت ودعوت لهم.

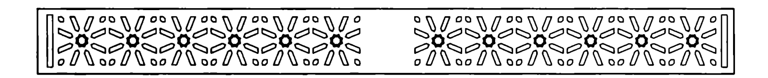
فقال لي ولدي بعد ذلك: والله يا أبي، إنّ دخولك علي بهيئتك وهيبتك، وهدوئك وحزنك، لهو أشدّ علي من ضربي ولومي والصراخ في وجهي.

ونستفيد من هذا درسًا: وهو أن الرفق هو الأصل في تعامل الوالدين مع أولادهم، مهما حصل منهم من تقصير وتفريط، وعاقبة العنف والغلظة تكون غالبًا سيئة، وصدق النبي ﷺ: **«إنَّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنْزع من شيء إلا شانه»**(١).

وقال: **«إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف. وما لا يعطي على ما سواه»**(٢).



(١) رواه مسلم (٢٥٩٤).
(٢) رواه مسلم (٢٥٩٣).



شدة إعراض ونفرة بعض الشباب من الحق والدّين ووالديه وبيته

كنت أعجب أشد العجب من شدة إعراض بعض الشباب عن كل ما فيه مصلحةٌ له في دينه ودنياه، مع إقرارهم أنهم على خطأ.

وقد قال لي بعضهم: مخي مُقْفل، لا أستطيع أن أغير ما أهواه، مع أني أشعر بالهمّ والغمّ الثقيل، فقلت له: هذا من آثار الذنوب والعاصي، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾، أي: ومن أعرض عن كتابي ولم يتبعه، والقرآن يسمى ذكرًا كما قال تعالى: ﴿وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ﴾، فمن أعرض عن كتاب الله الذي يتذكر به كل ما ينفعه في دينه ودنياه، فإنّ عقابه وجزاءه أن يصيبه ويبتليه بالهموم والغموم والآلام، التي هي عذاب معجل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة.

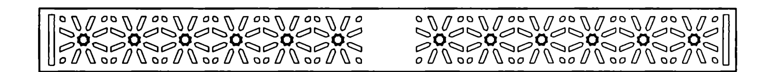
وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأخبر سبحانه أن من ابتلاه بقرينه من الشياطين وضلاله به إنما كان بسبب إعراضه وعشوه عن ذكره الذي أنزله على رسوله، فكان عقوبة هذا الإعراض أن قيض له شيطانًا يقارنه، فيصده عن سبيل ربه، وطريق فلاحه.

وهو يحسب أنه مهتد، حتى إذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينة، وعاين هلاكه وإفلاسه قال: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾.

وكلّ من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فلا بد أن يقول هذا يوم القيامة[1].اهـ.



(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١٨).



إن لم تكسب ولدك فلا تخسره

قد تلقى من ولدك صدودًا أو عقوقًا أو كسلًا في دراسته أو صلاته، فتحاول وتجتهد في إصلاح أمره، وعلاج مشكلته، فتبوء جميع محاولاتك بالفشل، فإياك أن تخسره، وخسارتك له بجنوحك إلى إحدى هذه التصرفات:

التّصرف الأول: كثرة العتاب.

وعتاب ولدك على نوعين:

النوع الأول: عتابٌ لا يستغني عنه أحدٌ، ولا تدوم المودَّةُ بدونه، وهو مخاطبة الإدلال، والعتاب بألطف أسلوب، وإخباره بأنك لا ترغب بالشيء الفلاني، وتُصارحه بلطفٍ عن شيءٍ رأيته منه وكرهتَه.

وهذا لا غِنى لأحدٍ عنه، كما قال الشاعر:

إذا ذهب العِتاب فليس وُدٌّ
ويبقى الوُدُّ ما بقي العتابُ

وهذا العتاب يُفيد كثيرًا إذا كان بأسلوبٍ رقيقٍ جميل، ولم يكن كثيرًا مُمِلًّا.

النوع الثاني: اللوم والتقريع بأسلوبٍ فظٍّ غليظ، وهذا هو الذي يجب على الأب الحصيف والأم المشفقة اجتنابه، إلا في حالات يسيرة يتطلّب الأمر أن تعاتبه وتقرّعه بحزم وشدّة، بشرط ألا يكون أمام الناس.

التّصرف الثاني: الجفاء في التعامل.

وقد ربط الله تعالى بين الاستجابة وبين الرحمة واللين بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فأخبر تعالى ـ وهو أصدق القائلين ـ أن الرحمة التي يُغْدقها رسوله ﷺ على أصحابه، ويغمرهم بها، واللين الذي يُعاملهم به: هما السبب الأكبر في استجابة أصحابه له، وانقيادهم وخُضوعهم له.

فهل بعد هذا تريد من أولادك أنْ يستجيبوا لك، وينقادوا لك عن قناعةٍ ورضا، وأنت لم تغمرهم بالحب والرحمة، ولم تعاملْهم بمنتهى الرفقِ واللين؟

فتأمل كيف أن الله ﷻ قد أيَّد رسولَه بالمعجزات والآيات، ومع ذلك لو كان في كلامه غِلظة، وفي قلبه قسوةٌ وشدَّة: لتركه أصحابُه وأحبابُه، وانفضُّوا من حوله، والواحد منهم يَفديه بنفسه وماله، وهو أحبّ إليه من نفسه وأولاده.

فأنت مع أولادك من باب أولى، فإذا ساءت أخلاقك معهم، وقسا طبعك، فإنَّ أولادَك سينفرون منك لا مَحالة.

فالأصل أن تعامل ولدك بالرفق واللين، وتحزم عند الحاجة، بلا عنف ولا غضب مفرط؛ لأن هذا سيضرك أولا، ويزيد المشكلة تعقيدًا؛

إلا إذا ارتكب خطأً شنيعًا مُقذعًا، فيه تجاوزٌ على الشريعة، وجُرأةٌ على الملَّة، أو أذية للناس، فلابد من ردْعه وزجره، حتى لا يتمادى على أذيّة الناس أو يستهين بالله تعالى وبدينه.

فصاحب الفسق والفجور، أو المصر على هضم حقوق الوالدين يجبُ أنْ يُردَّ عليه ويُؤدَّب، لكن برفقٍ مهما أمكنْ في بادئ الأمر، فإنْ تمادى فبالحزْم والحكمة.

والله تعالى اشترط لمن عفا أن يتحقق في عفوه الإصلاح فقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وشَرَط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورًا به[١]. اهـ.

وبعضُ الأولاد؛ لِفساد طبعه، وسوء أخلاقه، ونقص عقله، ورقّة ديانته: قد يُفسده التسامح والتبسط، وقد يُجرِّئه حسن الخلق معه، كما قال الشاعر[٢]:

أضرَّ بي حسنُ خُلْقي عند عِشْرَته
وربما ضرَّ حسنُ الخلْق أحيانًا

التّصرف الثالث: الهجرُ والقطيعة.

وهذا يزيده إصرارًا على ما هو عليه، ويملأُ قلبه غيظًا عليك، ويزيد من طغيانه.

(١) تفسير السعدي ١/ ٧٦٠.
(٢) الصداقة والصديق: ٢٠٤.

واعلم أن الحكيم المؤمن يداري من هو أكبر وأصغر منه سنًّا أو منصبًا أو جاهًا؛ تواضعًا وأدبًا، واحتسابًا وتديّنًا، ورغبةً في جمعِ الكلمة، ودوامِ الألفة، وصدًّا لكيد الشيطان.

فتراه مألوفًا محبوبًا للجميع، سعيدًا مرتاح البال من المنغصات والخلافات.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾.

وولدك أحوج الناس لمداراتك، والمدارة لا تدل على ضعفك، بل تدلّ على كمال عقلك وحكمتك ورحمتك.

والهجرُ قد يكون حلًّا مناسبًا إذا كان مُؤقّتًا.



علاج الانعزال وبذاءة اللسان والعدوانية

إحدى بناتي ـ أصلحها الله ـ كانت في المرحلة المتوسطة، ولاحظتُ عليها ثلاث صفات سيئة:

الأولى: الانعزال، حيث لا تكاد تخالطنا إلا عند طلبنا لها.

الثانية: بذاءة لسانها في حقّ الصغير والكبير.

الثالثة: كرهها لأختها التي تصغرها بأربعة أعوام.

فجلست أفكر مليًّا في معالجة هذه الصفات والأخلاق الرديئة، التي جعلتني أنفر منها، وقلّ حبّها في قلبي بل تلاشى في بعض الأحيان، فوجدت أن هناك أمرٌ غفلت عنه جعلها تتصف بهذه الصفات، وهو أنّ أختها التي تكبرها بسنتين، والأخرى بثلاث، بينهما مودّة، وتجتمعان كثيرًا، فهي تغار منهما، وتشعر بالنقص من عدم قدرتها على تكوين صداقات،

وليس لها سوى صديقة واحدة، فلذلك أصبحت منعزلة، وهذا يزيدها حدّة وغيظًا وغيرة.

فألهمني طريقة العلاج، وهي أني أمرت أن يكون اجتماعهن وخروجهن جميعًا، ولا خصوصية لأختيها عنها، فكان لذلك الأثر الطيب.

ثم أعطيتها مبلغًا من المال، وقلت اشتري هدية لأختك الصغيرة ـ التي تبغضها ـ، وأخبريها بأنك تحبينها، وإذا فعلت ذلك سأكافئك، ففعلت، ففرحت الصغيرة أيّما فرح، وجاءت تبشرني بالهدية، وبالكلام الجميل الذي سمعته من أختها ـ التي طالما جاءتني تشتكي من ضربها وقسوتها وكلامها ـ، فصلح حالهما، وتحسنت علاقتهما والحمد لله.

فأحببتها بعد ذلك محبة كبيرة، وأصبحت من أحسن بناتي أدبًا، وأفضلهن أخلاقًا، وأوفرهنّ عقلًا.

ونستفيد من هذا درسًا: وهو بذلُ الجهد في البحث عن علاج وحلّ، ومن ذلك الهدية، فلها الأثر الكبير في صفاء القلوب، وجلب المودة.

وصدق النبي ﷺ حينما قال: «**تهادوا تحابوا**»[١].

وكان أنس رضي الله عنه يقول: يا بني، تباذَلُوا بينكم، فإنه أودُّ لما بينكم[٢].

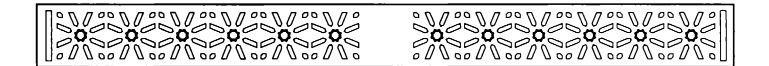
قال بعضُهم: الهدية تردُّ بلاءَ الدنيا، والصدقةُ تردُّ بلاء الآخرة.

أقبل رجلٌ يريد قتل آخر، فلما قابَلَه أخرج الآخر من جيبه سواكًا فأهداه له، فطفئت من قلبه نار العداوة، وتراجع عمَّا عزم عليه وندم.

إنَّ الهديةَ حُلْوَةٌ
كالسحرِ تَجْتَلِبُ القلوبا
تُدْني البعيد من الهوى
حتى تُصَيِّرَهُ قريبًا



(١) الأدب المفرد رقم: ٥٩٤، وحسّنه الألباني.
(٢) الأدب المفرد رقم: ٥٩٥، وصححه الألباني.



التعامل الحازم مع الجوال

كانت علاقة الوالدَين مع أولادهم قبل انتشار الجوالات قوية ومستقرّة في الغالب، وكانت مجالسهم فيها نشاط وحياة ولذّة، ويدور الحديث الجميل بينهم، ويُقبلون على من يتحدّث معهم ولا يملّون حديثه ولو طال، ويرغبون كثرةَ المجالسة وطولها.

وأما الآن، ومع انتشار الجوالات بأيدي الصغار والكبار، وافتتانهم وتعلّقهم بها، حلّت محلّ تلك المجالس الجميلة، والأحاديث الممتعة.

وأصبحت المجالس مملّة، والمتحدّث ثقيلًا، وإذا تحدّث أحدهم بحديث نافع قالوا بلسان الحال: ليته سكت.

والأب العاقل، والأم العاقلة، هو الذي يضع نظامًا حازمًا له ولأولاده ينظّم علاقتهم مع الجوال، **وذلك بأن يتخذ الخطوات التالية:**

الأولى: ألا يُدمن هو التعلق بالجوال؛ لأنه القدوة، فإذا رآه أولاده يُكثر من تقليب جواله والنظر فيه واستعماله اقتدوا به.

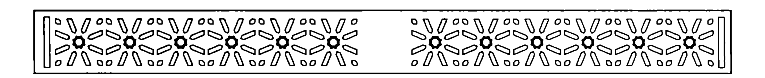
فإياك أن تتساهل بالجوال فتُصاب بالإدمان الشديد، الذي يجعلك لا تستطيع مفارقته ولا تركه ولو لساعة أو ساعتين.

الثانية: ألا يستعمله عندهم إلا عند الحاجة الملحّة.

الثالثة: أن يتفق مع أهلِه وأولاده على عدم استعمال الجوال أثناء الجلسات العائلية، وعند تناول وجبات الطعام، وليكن حازمًا مع نفسه ومعهم.

الرابعة: أنْ يضَع لهم وقتًا محدَّدًا في اسْتعماله، وخاصة في الليل، فلا بدّ من إلزامهم بإغلاقه.





كيف حيَت تلك النَّخَلات؟

كانت في أطراف مزرعة صاحبي نخلاتٌ قد أهملها، فقرر أن يعتني بهنّ بتقليمها وتنظيف أحواضها، فما مضى على ذلك إلا مدة يسيرة جدًّا حتى استعادت حيويّتَها ونماءها، وأثمرت، وكان يعجب من ذلك أشد العجب.

فقلت له: حالها كحال الولد، إذا وجد رعايةً طيبة من والِدَيه واهتمامًا وإكرامًا دبّت في روحه الحياة، ونشط وأثمر أخلاقًا طيبة، وطباعًا حسنة.

وإذا أُهمل ماتت همّته، وقلّ نفعُه، وذبلت روحُه.

فكأن تلك النخلات قلن لك: أحتاج من يرعاني ويهتمّ به، ويتفقّد حالتي، وحينها سأعود للحياة، وأُطعمكم من ثماري، وأغدق عليكم من بركاتي.

فاحرص أخي الأب، وأختي الأم على العناية

بأولادك وتحفيزهم، وإسماعهم كلمات الثناء والتحفيز.

واسأل نفسك: متى رأيت صفة في أحد من أولادك فمدحته عليها؟

فهل يعقل أنه لا تُوجد عندهم صفات وأخلاق بارزة؟ هذا لا يعقل.

فينبغي عليك أن تفتّش عن الصفات الحسنة والقيم النبيلة في أولادك، فتبرزها لهم، وتشكرهم عليها.

وعندما ترى أحد أولادك صاحبَ همّة ونباهة وإبداع: فبادر إلى تحفيزِه والثناء عليه وعلى مواهبه، فهو في أمس الحاجة إلى سماع ذلك منك، وستكون تلك الكلمات عونًا له على مزيد من الجدّ والإبداع، ولن ينساها لك أبدًا.

وإذا غفلت أو بخلت وشححت عليه ثم كبر وواصل مسيره ونجاحه وإبداعه: سيسمع ذلك من غيرك، ولو أسْمعته بعد ذلك فسيكون لكلامك ولو ملأت الكون مديحًا وتحفيزًا الأثر الأقلّ في نفسه؛

لأنّ كلامك جاء في غير وقته وحاجته، وربما رأى سكوتَك قبل هذا نوعَ خذلانٍ له.

لِيَكن الثناءُ والتحفيز هو السمةَ البارزةَ فيك، فبه تَسْتَنْهِضُ النفوس للعمل والجدّ، وتُحيي الفأل والأمل، وتقضي على الخمولِ والكسل.

امْلأ أسماع أولادك بالثناء الصادق، والتحفيز النافع، والكلمات المشجّعة.

إنَّ إشاعةَ خلق الثناء والشكر على المعروف في أهلك وأولادك: يُحيي نفوسهم، ويُعلي هممهم، ويزرع الحب والمودة بينهم، وينزع من صدورهم العَتب والإحباط والملل.

إنَّ الثَّناءَ لَيُحْيي عَزْم صاحِبه
كالغَيثِ يُحْيي نداهُ السَّهلَ والجبلَا

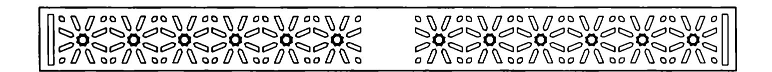
أمَّا أنْ ترى محاسنهم فلا تشكرهم ولا تُثْني على صنيعهم: فهذا تقصيرٌ في حقهم، وخطأٌ تقترفه تجاه محاسن أعمالهم، وتجفيفٌ لمنابعِ التنافسِ والإبداعِ عندهم.

وإنَّ الشكر والثناء لا يستغني عنه أحدٌ مهما كبُر

سنُّه، وعظُم قدره، فالكبير إذا مدحه طفلٌ صغيرٌ بصفةٍ تميَّز بها عن غيره فرح بها مهما كتمها، فكيف لو جاء هذا المدح من كبيرٍ خبير؟

ولو كانَ يستغني عن الشّكرِ ماجدٌ
لـرفـعـة شـأنٍ أوْ عـلـوٍّ مـكـانِ
لـمـا أمـرَ اللهُ الـعـبـادَ بـشـكـرهِ
فقالَ اشكروني أيُّها الثّقلانِ





استجابت لنصحي في طلب العلم

كثيرًا ما أقول لأولادي: إن أعظم نعمة أنعمها الله عليّ بعد الإسلام: العلم النافع، فهو السبب - بعد توفيق الله - في إنارة طريقي، وحفظ وقتي، وتحسين أخلاقي، وعلوّ همّتي، وتخلّصي من كثير من الأخلاق الرديئة، والأفكار الخاطئة.

وأذكر لهم هذا البيت:

العلم يرفع بيتًا لا عمادَ له
والجهل يهدم بيت العز والشرف

وهذا البيت:

وفي الجهل قبل الموت موتٌ لأهله
وأجسادهم دون القبور قبور

والبيتين الذين قلتهما في فضل العلم:

أقْبِلْ على العلم وابْحَثْ عن مجالسِهِ
فالعلم عزٌّ ومجدٌ كلُّهُ عِبَرُ

كم عالمٍ كان قبل العلم مُمْتهنًا
فإذ به عَلَمٌ كالمزنِ يَنْهَمِرُ

فاطْلبوا بنيّ العلم، ولله درّ العلم، ما زال يرفع أهله.

فاستجابت إحدى بناتي لندائي، وسلكت دربي، فطلبت العلم واعتنت بالدعوة إلى الله، فقرت عيني بها، وهذّبها العلم، وحسّن من أخلاقها، وعظم نفعُها، فقلت فيها:

حزمتِ يا بنيّةُ واستقمتِ
فأنت خيرُ من يمشي بِدَرْبِي
أجبْتيني ولبَّيْتي نِدائي
وكنتِ خيرَ داعيةٍ لربي
فسبحان الذي أعطاكِ فهمًا
وعقلًا حازمًا وصفاءَ لبِّ
وسبحان الذي لولاه كنتِ
ملطّخةً بذنبٍ بعد ذنب
دعوتُ الله ربي أن تكوني
منارًا في الهداية فهو حسبي

ونستفيد من هذا درسين:

الدرس الأول: أنّ قبول النصيحة توفيق من الله، وليست راجعةً لجهد الناصح فحسب، ولكن على المربي أنْ يُكثر من الدعاء وأن يكون خير قدوة.

الدرس الثاني: أنّ العلم النافع المأخوذ من الكتاب والسُّنّة من أعظم أسباب تهذيب أخلاق الأولاد وصلاحهم، وسلامة فِطَرهم، ووقايتهم من الانحراف العقديّ والسلوكيّ، ونبوغهم في دراستهم، وقدرتهم على مواجهة أعباء الحياة وصعوباتها.



الخاتمة

هذا ما تيسر ذكره من مواقف وقصص وعبر ونصائح وتوجيهات منّ الله بها عليّ من خلال التأمل في الكتاب والسُّنّة، والحياة المليئة بالعبر، والتعامل مع الأولاد والطلاب وتربيتهم ومعاشرتهم.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب، إنه سميع قريب مجيب.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهرس

الموضوع | الصفحة

طُبِعَ لِلْمُؤَلِّفِ

١ ـ حَيَاةُ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ. (الطبعة الرابعة).

٢ ـ مختصر حَيَاةِ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ.

٣ ـ إِرْشَادُ السَّاجِدِ بِأَسْبَابِ الخِلَافِ والتَّقَاطُعِ في الْمَسَاجِدِ.

٤ ـ الْإِفَاضَةُ في أَحْكَامِ الْحَيْضِ والنِّفَاسِ والْاسْتِحَاضَةِ.

٥ ـ كَيْفَ تُرَبِّي أَولادك؟ (الطبعة الثانية).

٦ ـ بُيُوتٌ تَئِنُّ مِنَ الْمَشَاكِلِ والْخلافَاتِ، الأَسْبَابُ والْعِلَاجُ.

٧ ـ حُقُوقُ الصَّدِيْقِ وكَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَهُ.

٨ ـ آدابُ طالِبِ الْعِلْمِ وسُبُلُ بِنَائِه ورُسُوخِه.

٩ ـ الحياةُ الزّوجيّةُ السّعيْدَةُ، قَوَاعِدُ وَحُقُوقٌ وَعِلاجٌ لِلْمُنغّصاتِ.

١٠ ـ عِلْمُ تَعْبِيرِ الرُّؤَى، بَحْثٌ تَأْصِيلِيٌّ عِلْميٌّ تَطْبِيقِيّ.

١١ ـ الْمَعِيْنُ الْجَارِي في اسْتنباطِ الفَوَائِدِ واللطَائِفِ مِنْ صَحِيْحِ الْبُخَارِي.

١٢ ـ مَنْهَجُ الصَّحَابَةِ والسَّلَفِ الصَّالحِ فِي الْتَّعَامُلِ مَعَ فَتَاوَى الْمُفْتِينِ والرَّدِّ عَلَى الْمُخْطِئِين.

١٣ ـ تَهْذِيْبُ كِتَابِ الْمُوَافقَاتِ لِلْإِمَامِ الشَّاطِبي، مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهِ.

١٤ ـ مَجالسُ شَهْرِ رَمَضَانَ.
١٥ ـ قِصَصِي مَعَ الْمُلْحِدِيْن والْمُشَكِّكِيْن والْمُوسْوِسِيْن، مَعَ بَيَانِ طُرُقِ إِقْنَاعِهِم وَهِدايَتِهِم.
١٦ ـ الْمَسَائِلُ الْمُهِمَّةُ فِي التَّجْوِيدِ والأَحْرُفِ السَّبْعَةِ.
١٧ ـ عِبَاراتٌ أَثَّرَتْ عَلَيَّ وَغَيَّرَتْ في حَيَاتِي. (الطبعة الثانية).
١٨ ـ عَبْقرِيَّةُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ. (الطبعة الثانية).
١٩ ـ بَوَّابَةُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ. (الطبعة الثانية).
٢٠ ـ صِنَاعَةُ طَالِبِ عِلْمٍ مَاهِرٍ. (الطبعة الثانية).
٢١ ـ صِنَاعَةُ خَطِيبٍ مَاهِرٍ.
٢٢ ـ الأُنْسُ بِاللّه تَعَالَى. (الطبعة الثانية).
٢٣ ـ تَقريبُ فَتَاوى ورسائل شَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ. (الطبعة الثانية).
٢٤ ـ تَقريبُ فَتَاوى ورسائل شَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ. (الْمَجْمُوعَةُ الثَّانِيَة).
٢٥ ـ فنُّ التَّعَامُلِ واكْتِسَابِ الأَخْلاقِ.
٢٦ ـ الرُّقْيَةُ الشَّرْعيَّة بين باعةِ الأوهام وأصلها الشرعيّ، قصص وعبر.
٢٧ ـ غِذَاءُ الْعُقُولِ وَصِفَاتُ الْعُقَلَاء.
٢٨ ـ نَثْرُ الْخَوَاطِرِ.
٢٩ ـ حَدِيْقَةُ الْمُتَنَبِّي.
٣٠ ـ نصيحَتِي لك يا وَلَدِي.
٣١ ـ فَلَذَاتُ الأَكْبادِ.